

دعائم السينما الجزائرية الناجحة

غاليم كمال

جامعة حسيبة بن بوعللي-الشلف

ولدت السينما في الجزائر" ولادة سليمة وسارت بخطوات تطويرية مدروسة ، وبهذا استطاعت ان تخرج بالسينما العربية الى المستوى العالمي وان تقدم أفلاما ممتازة على الرغم من أن ولادتها كانت صعبة إذ أنها ولدت في قلب الإعصار في قلب معركة التحرير"¹، إلا أنها حاولت أن تساير الأوضاع التي كان يشهدها المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، وبعد الاستقلال، ومن ثم راحت تبذل إنتاج فن سينمائي يوضح الصورة الحقيقية لواقع الشعب الجزائري ، ويشهد على ذلك الناقد السينمائي عيسى شريط يصفها "بأنها متميزة من حيث جانبها التقني لكونها تعتمد على المهارة التقنية التي تتوافر لدى السينمائي"²، فعلى ماذا تستند السينما الجزائرية في إنتاجها؟.

1-الرواية: "هناك تشابه كبير و تداخل شديد بين الرواية الأدبية والفيلم السينمائي من بناؤهما السردى، فالمتلقي سواء كان قارئاً للنص الروائي، أو مشاهداً للفيلم السينمائي مولع بتتبع تسلسل الحكمة وجميع عناصرها السردية، والفهم والمشاركة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً في السينما، أو في أي شكل من أشكال القصة"³

1.1-عناصر البناء السردى:

أ-الحدث: يعد من الركائز الأساسية التي تنبني عليها القصة، سواء كانت مكتوبة في شكل روائي، أو معروضة في فيلم سينمائي، فهو عنصر مشترك بين الفنون، غير أن تقديمه قد يختلف في كليهما بحسب نظرة المبدع، وكيفية اختياره، للمواضيع المناسبة، والأفكار المتميزة."⁴

ب- الشخصية: هي "العالم الذي تتمحور حوله كل الوظائف السردية ، وكل المواجهات والعواطف والميول، فهي بهذا المفهوم ، فعل أو حدث، وهي التي في الوقت نفسه ، تتعرض لإفراز هذا الشر أو ذلك الخير وهي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع ، ثم إنها هي التي تسرد لغيرها، أو يقع عليها سرد غيرها وهي بهذا المفهوم أيضا أداة وصف ، أي أداة للسرد والعرض⁵، كما يجب على الشخصية أن تكون "مرتبطة بالحدث الذي يسند إليها"⁶

ج -اللغة: هي متقاربة إلى حد ما بين الفنون، غير أن الفيلم هو كتابة بالصور تأخذ محل اللغة المكتوبة في النص الروائي، وإذا كان (تولستوى) قد أطلق على السينما في زمانه (الأبكم العظيم)، فان (يوري لوتمان) يرى انه من قبيل الخطأ الفادح تصور أن السينما لم تكتسب اللغة إلا مع الصوت، فالكون من حولنا مليء باللغات المتنوعة، منها ذات الطبيعة السمعية، والصوتية، والبصرية، والأخرى اللمسية...⁷، حيث أن "العلاقة بين مفردات اللغة السينمائية... في غاية الترابط والتعلق العقلي والمنطقي، بالرغم من رمزيته التي تخلق واقعا ملموسا موازيا للواقع الفعلي"⁸

د-الزمن: "يخضع زمن القصة بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث،، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي"⁹.

هـ-المكان :وهو الفضاء الذي تجري فيه أحداث الرواية أو أحداث الفيلم السينمائي،فهو يبرز الوقائع وتحركات الشخصية.

1. 2-تقنيات السرد:

أ-تقنية الارتداد أو الفلاش باك:ونعني بها العودة إلى الوراء،وهي من الآليات التي يستعين بها كل من الروائي والسينمائي في الكشف عن الوقائع الماضية¹⁰.

ب-تقنية المناجاة: "خطاب مضمن داخل خطاب آخر يتسم حتما بالسردية،ولكنهما يندمجان معا اندماجا تاما ،لإضافة بعد حدثي سردي ،أو نفسي إلى الخطاب الروائي"¹¹.

إن علاقة الرواية بالسينما علاقة جدية ومتماسكة ،وبما أن الرواية جنس أدبي ،فان "العلاقة بين الأدب والسينما غائية مستقبلية،كل منها يحاول بوسائله الخاصة تغيير واقع معاش إلى واقع متصور ،هي علاقة توق إنساني إلى بناء إنسان جديد ،غير معقد،غير متأزم،حيوانيته لا تحول بينه وبين مثله،بالإضافة إلى هذه العلاقة هناك كثير من الأشياء المشتركة بينهما ،ذلك أن كل من الأدب والسينما أداة تعبير ووسيلة تبليغ في نفس الآن"¹².

بدأت علاقة السينما بالرواية عند العرب " في مصر،فمنذ فيلم "زينب"،أحد أوائل الأفلام الروائية المصرية،والذي أخرجه محمد كريم عام 1930 عن رواية بالعنوان نفسه للدكتور محمد حسين هيكل،والسينما المصرية تد في الأدب المصري (إضافة إلى اقتباسها من الأدب العالمي)منبعا خصبا لمواضيع أفلامها ومادة أساسية للحكايات التي ترويها"¹³

إن "السينما استوعبت أشهر الأعمال الروائية العالمية ،وقدمت للرواية خدمة جليلة إذ أوصلتها إلى الإنسان العادي في كل الدنيا برغم اختلاف اللغات...وهكذا اختصرت السينما للمشاهد الزمان والمكان،ووفرت كل شيء في الزمن الحاضر،ولم يخل الأمر من متعة كبيرة للمؤلفين المعاصرين للروايات الأدبية وهم يرون أبطالهم يتحركون أمامهم على الشاشة"¹⁴،و "تنطبق هذه الملاحظة أيضا على السينما في الجزائر،ذات التجربة المتميزة في مجال السينما...منها على سبيل المثال "نوة" لعبد العزيز طولبي والمقتبس عن قصة للطاهر وطار (عام 1972) ،وهي قصة يستفيد منها المخرج ليقدم فيلما تسجيلي الأسلوب يعالج فيه الواقع الصعب للفلاحين في الجزائر قبل الثورة، وهناك أيضا فيلم "ريح الجنوب" الذي أخرجه محمد سليم رياض عام 1976 عن الرواية بالعنوان نفسه للكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة، وهنا أيضا نلاحظ أن المشكلات الاجتماعية التي تتطرق اليها الرواية هي ما لفت انتباه المخرج"¹⁵ بالإضافة إلى محاولة المخرج احمد راشدي في فيلمه (الافيون والعصا) والذي أعده عن رواية بالعنوان نفسه للكاتب مولود معمري...،"والحافظ الأساسي الذي شجع المخرج على انتقاء هذا النص الأدبي هو المضمون المرتبط بالواقع الجزائري ،اي الواقع الثوري ،خصوصا وان النص يتطرا إلى قصة حرب التحرير الجزائرية"¹⁶

"قصة "نوة" لوطار مكنت طولبي من إخراج أروع فيلم يصور المجتمع الريفي فيما قبل الثورة التحريرية"¹⁷، " هذا الفيلم الذي لم يكتفي مثلما فعلت معظم الأفلام، بالتحدث عن الفترة الثورية لتمجيدها بشكل آلي...بل تجاوز هذا ليلقي نظرة على الواقع الاجتماعي كما انعكس بعد الثورة...ولوجه نقدا عنيفا لبعض سمات هذا الواقع

(وهو أمر يشاركه فيه فيلما محمد بوعماري: الفحام والارث)¹⁸

2- الحرب: "تعتبر الحروب والثورات من الأحداث الجسام التي لا بد وان تترك بصماتها على كل الفنون خاصة السينما التي تسجل وتؤرخ لها.....وما نعرفه عن تاريخ السينما العالمية أنها أنتجت الكثير من الأفلام التي تعرضت للحربين العالميتين الأولى والثانية بوجهات نظر مختلفة"¹⁹،

الجزائر" التي ولدت فيها السينما في قلب حرب التحرير، وسارت بخطى مدروسة مكنتها بان تخرج بالسينما العربية ككل إلى المستوى العالمي"²⁰، "ويعد فيلم "الجزائر تحترق" أول عمل يصور حرب التحرير وهو للمخرج الفرنسي (رونيه فوتيه) الذي انضم إلى صفوف جبهة التحرير وفي سنة 1957 تأسست خلية للإنتاج السينمائي المناضل، تضم كل من جمال شاندرلي ومحمد لحضر حاميننا واحمد راشدي"²¹

"جاءت الأفلام الثورية الجزائرية لتوثق لتاريخ الجزائر بالصورة والصوت حيث عمدت السينما إلى إعادة حكي الإرث الثوري من وجهة نظر خاصة لذلك سارعت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال إلى تمويل وإنتاج كل تلك الأعمال السينمائية التي من شأنها أن تروج لتاريخها البطولي المجيد داخليا وخارجيا"²²، حيث "برع الكتاب المعاصرين في نقل الأحداث التاريخية والخروج منها بسيناريوهات رائعة خاصة وان بعضهم نقلوا من التاريخ ليسقطوا منه على الحاضر أو على الشخصيات المعاصرة وبهذا يمثل العمل المنقول من التاريخ عملا عصريا ناجحا"²³

وخلاصة القول أن الكاتب يصور الأحداث والشخصيات والخطاب والزمن والمكان على الورق في صورة

ذهنية مجردة، أما السينمائي فيقوم بتطبيقها وتصويرها عن طريق الحركة البصرية بصفة مباشرة، كما أن هناك أفلام تصور أحداثا خيالية قد وجدت في الرواية، وهناك أفلام تعيد أحداث حدثت بالفعل في الماضي قد وجدت في الحرب.

الهوامش:

1. جان الكسان، السينما في الوطن العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1982، ص216.
2. عيسى شريط، فلتكن السينما الجزائرية، جزائرية، مجلة الاختلاف، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، العدد 03/2003، ص48.
3. جان بول تروك، فن كتابة السيناريو، تر: قاسم مقداد، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، سوريا، 1995، ص211.
4. مجلة آفاق سينمائية، عن مخبر فهرس الافلام الثورية في السينما الجزائرية، كلية الاداب والفنون، جامعة وهران 1 احمد بن بلة، العدد 01/2013، ص56.
5. عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص119.
6. عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص62.
7. مجلة آفاق سينمائية، م س، ص57.
8. فاضل السود، السرد السينمائي، الحياة العامة للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 1996، ص112.
9. مجلة آفاق سينمائية، م س، ص57.
10. م س، ص58.

11. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعارف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص71.
12. -خلفة بن عيسى ، الرواية و الرواية السينمائية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص09.
13. عدنان مدانات ،حكاية العشق والتمرد بين السينما والأدب العريتين، المجلة الثقافية ،الجامعة الاردنية،العدد17/1989ص72.
14. ابراهيم عبد المجيد، الرواية والفيلم، مجلة العربي، وزارة الاعلام، الكويت، العدد440، السنة38/1995ص103-104.
15. عدنان مدانات، م س ص76.
16. عائدة اديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، (1925-1967)، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص266.
17. -خلفة بن عيسى ، م س، ص18.
18. ابراهيم العريس، الصورة والواقع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978، ص44.
19. محمد منير حجاب، السينما وقضايا المجتمع العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الاولى، 2009، ص203.
20. جان الكسان، السينما في الوطن العربي، مجلة عالم المعرف، الكويت، العدد 51-1982، ص2015.
21. سينما جزائرية، "وكيبديا الموسوعة الحرة".
22. جدي قدور، الثورة التحريرية في السينما الجزائرية، دكتوراه، جامعة وهران، 2009/2010، ص164.
23. اثر توظيف الحدث التاريخي في صياغة السيناريو وصناعة الفيلم السينمائي، دار البداية للنشر والتوزيع، الاردن، الطبعة الاولى، 2011، ص133.